

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رَبِّهِ سُبْحَانَهُ: ﴿وَأَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾. فَكَانَ صَبْرُهُ سَبَبًا لِلنَّصْرِ وَالتَّمَكِينِ، حَتَّى ظَهَرَ الْحَقُّ وَانْتَصَرَ دِينُ اللَّهِ.

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْإِفْضَالِ،

إِنَّ الصَّبْرَ لَا يَكُونُ عِنْدَ الْإِبْتِلَاءِ فَقَطْ، بَلْ يَكُونُ فِي الْعِبَادَةِ، وَفِي الْإِتِّزَامِ بِالْأَخْلَاقِ الْحَسَنَةِ، وَفِي تَجَنُّبِ الْمَعَاصِي وَالدُّنُوبِ. فَالْمُؤَاطَبَةُ عَلَى الصَّلَاةِ، وَاجْتِنَابِ الْحَرَامِ، وَالتَّثَابُثِ عَلَى الْحَقِّ وَالدِّفَاعِ عَنْهُ، كُلُّهَا أُمُورٌ تَحْتَاجُ إِلَى صَبْرٍ وَمُجَاهَدَةٍ لِلنَّفْسِ. وَلِهَذَا كَانَ الصَّبْرُ مِنْ أَلْقِيمِ الْعَظِيمَةِ فِي حَيَاةِ الْمُسْلِمِ. فَالصَّابِرُ لَا يَسْتَسْلِمُ لِعُضْبِهِ، وَلَا يَنْقَادُ لِشَهْوَاتِهِ، بَلْ يَمْلِكُ نَفْسَهُ وَلَا يَحِيدُ عَنِ الْحَقِّ. وَقَدْ سَأَلَ النَّبِيُّ ﷺ أَصْحَابَهُ يَوْمًا فَقَالَ: «مَا تَعْدُونَ فِيكُمْ الصَّرْعَةَ؟ قُلْنَا:

الَّذِي لَا تَصْرَعُهُ الرِّجَالُ، قَالَ: قَالَ لَا وَلَكِنَّ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ «الْغَضَبِ» فَالْقُوَّةُ الْحَقِيقِيَّةُ لَيْسَتْ فِي قُوَّةِ الْجَسَدِ وَالْعَضَلَاتِ، وَإِنَّمَا فِي قُوَّةِ الْإِرَادَةِ، وَضَبْطِ النَّفْسِ، وَالْقُدْرَةِ عَلَى النَّحْكُمِ بِالْغَضَبِ.

إِخْوَتِي الْأَعْرَاءُ،

عَلَيْنَا أَلَّا نَنْسَى أَنَّ ثَوَابَ الصَّبْرِ لَا يَضِيعُ عِنْدَ اللَّهِ، وَأَنَّ مَنْ يَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ يَجْعَلُ لَهُ بَعْدَ الْعُسْرِ يُسْرًا، وَبَعْدَ الضِّيقِ فَرَجًا. وَقَدْ ذَكَرْنَا أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ بِهَذِهِ الْحَقِيقَةِ الْعَظِيمَةِ فِي سُورَةِ الْإِنشِرَاحِ فَقَالَ: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾. وَقَدْ وَعَدَ اللَّهُ عِبَادَهُ الصَّابِرِينَ بِعَظِيمِ الْأَجْرِ. لِذَا فَلْتَحَلَّ بِالصَّبْرِ وَالتَّثَابُثِ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِنَا، وَلِنَصْبِرْ أَمَامَ الشَّدَائِدِ، وَلِنَجْعَلَ تَوَكُّلَنَا وَاعْتِمَادَنَا دَائِمًا عَلَى اللَّهِ تَعَالَى.

وَنَحْتَمِ خُطْبَتِنَا بِهَذَا الدُّعَاءِ: اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الصَّابِرِينَ، وَارزُقْ قُلُوبَنَا الثَّبَاتَ وَالْقُوَّةَ، وَامْلَأْ حَيَاتِنَا بِالْحِكْمَةِ وَالسَّكِينَةِ، وَلَا تَجْعَلْنَا نَجِيدٌ عَنِ طَرِيقِ الْحَقِّ، وَاجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الْمُتَوَكِّلِينَ عَلَيْكَ فِي كُلِّ أَمْرٍ.



﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَا جَزَاءَ الْآخِرَةِ أَكْبَرَ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٤١﴾
الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ ﴿٤٢﴾

سورة النحل، (٤١-٤٢)

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَا تَعْدُونَ الصَّرْعَةَ فِيكُمْ". قَالُوا الَّذِي لَا يَصْرَعُهُ الرِّجَالُ قَالَ "لَا وَلَكِنَّهُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ"

صحيح مسلم، رقم ١٠٦٠٦؛ سنن أبي داود، رقم ٣

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْكِرَامِ،

إِنَّ بَيْنَنَا الْإِسْلَامَ جَاءَ لِيَهْدِيَ الْإِنْسَانَ إِلَى حَيَاةٍ مُتَوَازِنَةٍ وَذَاتِ مَعْنَى. وَمِنْ أَعْظَمِ الْأَقِيمِ الَّتِي يَحْتُنُّهَا الْإِسْلَامُ عَلَيْهَا قِيَمَةُ الصَّبْرِ. فَالصَّبْرُ لَيْسَ مُجَرَّدَ تَحْمُلِ الْمَشَقَّةِ، بَلْ هُوَ ثَبَاتٌ عَلَى الْحَقِّ، وَقُوَّةٌ فِي مُوَاجَهَةِ الْإِبْتِلَاءَاتِ، وَإِرَادَةٌ وَعَيْةٌ تَدْفَعُ الْمُسْلِمَ إِلَى مُوَاسَلَةِ الطَّرِيقِ بِثِقَةٍ بِاللَّهِ تَعَالَى. وَالْمُؤْمِنُ لَا يَجْعَلُ الصَّبْرَ مُجَرَّدَ انْتِظَارٍ، وَإِنَّمَا يَرَاهُ عِبَادَةً، وَعَزِيمَةً، وَمَقَاوِمَةً لِلنَّفْسِ وَالتَّشَائِدِ، مَعَ يَقِينٍ كَامِلٍ بِأَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الصَّابِرِينَ. وَقَدْ وَصَفَ اللَّهُ تَعَالَى الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ تَرَكَوا أوطَانَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِقَوْلِهِ: ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾. الصَّبْرُ وَالتَّوَكُّلُ عَلَى اللَّهِ مِنْ أَعْظَمِ الصِّفَاتِ الَّتِي تَكْتَمِلُ بِهَا شَخْصِيَّةُ الْمُؤْمِنِ.

إِخْوَتِي الْأَعْرَاءُ،

إِنَّ الْإِنْسَانَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ لَا يَخْلُو مِنَ الْإِبْتِلَاءَاتِ؛ فَقَدْ يُبْتَلَى فِي الرِّزْقِ، أَوْ بِمَرَضٍ، أَوْ بِأَلَمٍ فِي الْقَلْبِ. وَهَذَا تَظْهَرُ قِيَمَةُ الصَّبْرِ، فَهُوَ السَّنَدُ الَّذِي يُثَبِّتُ الْإِنْسَانَ وَيُعِينُهُ عَلَى مُوَاسَلَةِ الطَّرِيقِ. فَالصَّابِرُ لَا يَتَصَرَّفُ بِغَضَبٍ عِنْدَ وُفُوعِ الْإِبْتِلَاءِ، بَلْ يَتَعَامَلُ مَعَ الْأُمُورِ بِصَبْرِ وَحِكْمَةٍ؛ لِأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ الصَّبْرَ هُوَ طَرِيقُ النَّجَاةِ. وَقَدْ بَشَّرَنَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ فَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾. وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصْبِرْهُ اللَّهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ.» وَإِذَا تَأَمَّلْنَا فِي سِيرَةِ نَبِيِّنَا ﷺ وَجَدْنَاهُ أَغْظَمَ النَّاسِ صَبْرًا وَثَبَاتًا، فَلَمْ تَزِدْهُ أَلْمَحْنَ وَالتَّشَائِدَ إِلَّا قُوَّةً وَيَقِينًا. فَقَدْ وَاجَهَ فِي مَكَّةَ أَنْوَاعَ الْأَدَى وَالظُّلْمِ، وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ يَتَحَلَّ عَنِ الصَّبْرِ وَالدُّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ، اِمْتِنَانًا لِأَمْرِ